# الأدب التفاعلي بين إشكالية المصطلح وأزمة المنهج

**أ.مريم بن الاحرش**
**جامعة زيان عاشور/الجلفة**

**ملخص:**
تروم هذه الورقة البحث في الأدب التفاعلي من حيث هو نوع جديد من الأدب تولد عن ثورة في الصعيد الأدبي احدثتها التطورات التكنولوجية المدهشة التي شهدها العصر.
هذا النوع الجديد مرتبط بالشاشة الزرقاء (الحاسوب) المندرج في إطار الأدب الرقمي والذي هو بحد ذاته حديث النشأة عربيا واكتسح الساحة الأدبية طارحا تساؤلات مفادها: ماهي ماهية الأدب التفاعلي؟ وماهي أسباب تعدد مصطلحاته؟ .
من هنا نحاول الإجابة عن هذه الإشكالات بمحاولة رصد للمفاهيم والمصطلحات المبثوثة عبر المدونات وما كتب من مؤلفات حول الموضوع.
سنكشف هنا المفهوم والأبعاد التفاعلية بالتطرق إلى إشكالية المصطلح ومحاولة التنظير للمفهوم؛ وفي ظل تعدد المناهج تعد نظريات القراءة والتلقي والسيميائيات الأقرب للتطبيق على الأدب التفاعلي لما يقدمانه من إمكانيات هائلة للقراءة والتأويل.
وتأصيلا للعمل استندنا على كتاب سعيد يقطين: من النص الى النص المترابط مدخل الى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2005
فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي الدار البيضاء–المغرب –ط1 ،**2006.**
الكلمات المفتاحية: الأدب التفاعلي، الأدب الرقمي، نظريات القراءة والتلقي، السيميائيات.
في خضم الحراك الثقافي ظهر هذا النوع من الأدب كنتيجة حتمية لظهور الوسائط الإلكترونية الجديدة،إذ يرتبط مفهوم الأدب الرقمي بذلك المنتوج الإبداعي المرتبط بالشبكة العنكبوتية، والذي يختلف كل الاختلاف عن الأدب العادي، سواء من حيث البنية الشكلية، أو من حيث التقنيات المستعملة في البناء النصي.
"يعد الأدب الرقمي: Digitallittérature – littérature numérique اسمًا جامعا لكل أدب يقدم عبر الوسيط الإلكتروني (الشاشة الزرقاء). أضفت له صفة الرقمية لمَّا اعتمد نظامه على الصيغة الرقمية الثنائية (1/0) ليتسنى له التعامل مع جل النصوص – وهذه الصفة (الرقمية) تجعله مقابلا للأدب الورقي الذي له وسائله وآلياته ووسائطه الخاصة به تختلف تماما عما يتميز به الأدب الرقمي من امتيازات سواء على مستوى الإبداع أو على مستوى التلقي"[1].
ويعرفه سعيد يقطين بقوله: " مجموع الإبداعات التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، لكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة من الإنتاج والتلقي "[2].
وتعرفه فاطمة البريكي بكونه: " الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني أي من خلال الشاشة الزرقاء. ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل، أو تزيد عن، مساحة المبدع الأصلي للنص "[3]
مختلف هذه التعريفات أوردت فوضى مصطلحية فنجد هناك انتقالا بين الرقمي والإلكتروني، التفاعلي، الترابطي ... لذا وجب أن نشير إلى الفروقات الموجودة بين هذه المصطلحات والتي أوردها إبراهيم أحمد ملحم في كتابه الأدب والتقنية[4]:
النص الرقمي: هو نص يقدم من خلال جهاز الحاسوب، ويعتمد الصيغة الرقمية الثنائية (1/0) في التعامل مع النصوص أيا كانت طبيعتها.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النص الالكتروني: هو النص المقدم عبر جهاز الحاسوب أيضا، ولكنه يكتسب صفة الالكترونية بحسب طبيعة الوسيط الالكتروني الحامل له. ويحمل هذا المصطلح مقارنة ضمنية بين النصوص المقدمة عبر الوسيط الالكتروني، وتلك التي تقدم عبر الوسيط الورقي.

النص التفاعلي: هو النص المقدم الكترونيا، بالاتصال بالشبكة او دون الاتصال بها، بالإضافة الى الاستعانة بالصوت والصورة والوسائط المتعددة، ويشترط فيه الحضور التام للقارئ الفعال والمتفاعل.

ولنصوص الأدب التفاعلي صفات تميزها عن غيرها من النصوص والتي أوردتها فاطمة البريكي في كتابها[5]:

1- يقدم الأدب التفاعلي نصا مفتوحا، نصا بلا حدود، اذ يمكن أن ينشئ المبدع، أيا كان نوع ابداعه، نصا، ويلقي به في أحد المواقع على الشبكة، ويترك للقراء والمستخدمين حرية اكمال النص كما يشاؤون.
2- يمنح الأدب التفاعلي المتلقي / المستخدم فرصة الإحساس بأنه مالك لكل ما يقدم على الشبكة، أي أنه يعلي من شأن المتلقي الذي أهمل لسنين طويلة من قبل النقاد والمهتمين بالنص الأدبي والذين اهتموا أولا بالمبدع، ثم بالنص، والتفتوا مؤخرا إلى المتلقي.
3- لا يعترف الأدب التفاعلي بالمبدع الوحيد للنص، وهذا مترتب على جعله جميع المتلقين والمستخدمين للنص التفاعلي مشاركين فيه، ومالكين لحق الإضافة والتعديل في النص الأصلي.
4- البدايات غير موحدة في بعض نصوص (الأدب التفاعلي)، اذ يمكن للمتلقي ان يختار نقطة البدء التي يرغب بأن يبدأ دخول عالم النص من خلالها، ويكون هذا باختيار المبدع الذي ينشئ النص أولا، إذ يبني نصه على أساس ألا تكون له بداية واحدة.
5- النهايات غير محددة في معظم نصوص الأدب التفاعلي، فتعدد المسارات يعني تعدد الخيارات المتاحة أمام المتلقي/المستخدم، وهذا يؤدي إلى أن يسير كل منهم في اتجاه يختلف عن الاتجاه الذي يسير فيه الآخر.
6- يتيح الأدب التفاعلي للمتلقين/المستخدمين فرصة الحوار الحي والمباشر، وذلك من خلال المواقع الالكترونية ذاتها التي تقدم النص التفاعلي، رواية كان، أو قصيدة، أو مسرحية.
7- في الأدب التفاعلي تتعدد صور التفاعل، بسبب تعدد الصور التي يقدم بها النص الأدبي نفسه إلى المتلقي/المستخدم، ففي الوقت الذي يتخذ التفاعل صورة واحدة تقريبا في حالة النصوص الورقية التقليدية، نجد أنه يتخذ صورا كثيرة مختلفة ومتنوعة في حالة النصوص الإلكترونية.

**أبعاد التفاعلية:**

- التفاعلية:

التفاعلية هي " عملية التبادل أو الاستجابة المزدوجة التي تتحقق بين الإمكانات التي يقدمها النظام الاعلامياتي للمستعمل، والعكس. ويمكن التدليل على ذلك من خلال نقر المستعمل على أيقونة مثلا للانتقال الى صفحة أخرى..."[6]

يقصد بالتفاعلية هنا مدى معرفة المستخدم لطرائق التعامل مع الحاسوب.

في حين نجد فاطمة البريكي تعرف التفاعلية بكونها " لا تعني القدرة على الإبحار في العالم الافتراضي وحسب، بل تعني قوة المستخدم وقدرته على التغيير فيه"[7] وهي تعني هنا قدرة المستخدم على التعامل مع العالم الافتراضي والتغيير فيه.

- النص المترابط:



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وضع الباحثون والدارسون في العالم العربي عدة مقابلات أو ترجمات لهذا المصطلح منها **النص المتشعب** عند عبير سلامة، **النص المتفرع**عند حسام الخطيب، **النص الفائق** عند نبيل علي، **النص المترابط**عند سعيد يقطين.غير أن ما أصبح شائعا وأكثر استعمالا هو المصطلح الذي اعتمده سعيد يقطين النص المترابط، الخصائص ترجمة لمصطلح "hypertext» لأن أهم خاصية فيه هي أحكام الربط بين مختلف عقده وأجزائه.

ويتميز النص المترابط بمجموعة من الخصائص أوردها مجموعة من الكتاب: سعيد يقطين، لبيبة خمار، طارق عطار وهي مختصرة كالآتي:

- اللاخطية.
- دينامية القراءة وتفاعلها.
- البعد اللعبي.
- اللامادية.
- غياب النهاية.
- الشكل المتاهي.
- التركيز على الكلمة.
- التقطيع (قابلية التقطيع).
- سرعة الانتشار.
- تقنيات الكتابة الالكترونية (البعد التقني).
- التكامل.
- التخييلية.
- المعاينة.
- البنيات العلاقات.

الروابط.

**أنماط الأدب التفاعلي:**

وكما هو معروف في الأدب الورقي العادي أنماط وأجناس فإننا نجد في الأدب التفاعلي كذلك أنماطا وهي كالتالي:

- الرواية والقصة التفاعلية:

رغم أن للقصة والرواية التفاعليين طبيعة وخصائص مختلفة عن بعضهما البعض إلا أنهما يندرجان ضمن نمط تفاعلي واحد وتشتركان في العملية التفاعلية.

- المسرح التفاعلي:

تعرفه فاطمة البريكي بكونه "نمط جديد من الكتابة الأدبية، يتجاوز الفهم التقليدي لفعل الإبداع الأدبي الذي يتمحور حول المبدع الواحد، إذ يشترك في تقديمه عدة كتاب، كما قد يدعي المتلقي/المستخدم أيضا للمشاركة فيه"[8].

- الشعر التفاعلي:



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعرفه الناقدة عبير سلامة:" قصيدة يمكن الاشتباك مع نصها بفعل، ولا يُعتبر فعلاً مع النص كلُ من التعليق عليها-مراسلةمؤلفها-كتابة مقال عنها، وسوى ذلك من أفعال تقع خارج النص. الفعل مع النص يفترض عدم اكتماله، لذلك يصبح التعريف كما يلي: قصيدة قيد التشكيل يمكن الاشتباك مع نصها بفعل."[9]

عملية التفاعل هنا تكون مع النص في حد ذاته، والعمليات الأخرى سواء تعليق أو مراسلة على النص أو غيرها لا تسمى عملية تفاعل.

**الأدب التفاعلي وأزمة المنهج:**

إن تلقي النص التفاعلي يختلف تمام الاختلاف عن نظيره الورقي، فالقراءة عن طريق الوسيط الالكتروني ليست أبدا كالقراءة عبر الوسيط الورقي، ويختلف القارئ الرقمي عن القارئ العادي كذلك من حيث مساحة الحرية ومن حيث الأدوات المتاحة.

وككل نمط من الأدب نجد أنه يخضع لممارسات نقدية وتبعا لنمط هذا الأدب يطلق عليه النقد التفاعلي، وعندما نتأمل في طبيعة الأدب التفاعلي نجد أنه في تماس مع عدد من النظريات النقدية الحديثة، ولعل أكثر تلك النظريات اتساقا معه

نظرية القراءة والتلقي والتي تتميز ب:

1 التفاعلية: يؤكد أصحاب نظرية القراءة والتلقي على ضرورة تبني القارئ ضمن العملية الابداعية. في الرواية الرقمية يستطيع المتلقي أن يشارك في كتابة فصول الرواية وأن يتعاون مع المبدع الذي أصبح أكثر تقبلا لفكرة مشاركة الآخرين له في كتابته نصه ولمبدأ التعاون الإبداعي، والكتابة الجماعية[10].

2 ملأ الفراغ: إن تفاعل المتلقي مع النص ومشاركته في إنتاج معناه يأخذ أشكالا مختلفة كالحذف، والاضافة،والتعديل، وغير ذلك. وقد فرضت الطبيعة الجديدة التي تميزت بها الرواية الرقمية في نسقها الايجابي ألا يكون مكتملا أبدا، فهي في حالة سعي الى الكمال دائما.

3 موت المؤلف: من خصائص الرواية التفاعلية، الخاصية الكتابية التي تقر بأن متلقيها المتعددين على اختلافهم يستطيعون إعادة كتابته وإنتاج معناه. ممايجعلنا في تقاطع مع مقولة (موت المؤلف) التي نادى بها رولان بارت في سبيل إحياء دور المتلقي .

4 الكتابة الجماعية: الكتابة الجماعية أو تعدد المبدع نمط من الكتابة الأدبية،وتعد هذه الكتابة من أهم خصائص الرواية التفاعلية، إذ تعتمد على تعاون أكثر من مبدع في إنتاج نص واحد.

تعد نظريات القراءة والتلقي الأقرب للتطبيق على الأدب التفاعلي لما تقدمه من إمكانات هائلة للقراءة والتأويل. إن القراءة في النص التفاعلي قراءة غير خطية قراءة موسوعية تشمل جميع العناصر من صوت وصورة وموسيقى وغيرها. وإذا كانت القراءة مختلفة فبطبيعة الحال ستختلف من متلق إلى آخر وبما أن المتلقي في النص التفاعلي يعتبر مبدعا فإن أفق التوقعات بطبيعة الحال ستختلف وتدخل في مجموعة غير منتهية من التوقعات وذلك مرتبط بحسي المتلقين وخلفياتهم الفكرية والنفسية والاجتماعية وغيرها، فلا يمكن لنا أن نتنبأ بما سيقمه لنا المتلقي، المبدع.

**الأدب التفاعلي ونظرية التناص:**

-الحوارية: صك (باختين) مفهوم (الحوارية) من خلال نظرته للعمل الادبي على أنه حوار يشبه الحوار الداخلي ،فكل الخطابات ،من اولها الى اخرها ،من وجهة نظره حوارية .نجد لهذا الطرح وجود واضح في بعض الروايات الرقمية ،إذ تبدو نصوصها وكأنها تقيم حوارا مع غيرها من النصوص وهذا ما سنعقب عليه من خلال تحليلنا لخطاب صقيع .وبإمكان المبدع في الرواية التفاعلية أن يجعل من نصه نصا قابلا لأن يحاور من قبل جميع المتلقين ،بأن يفتح باب الإضافة على نصه، وأن يجعل من المتلقي مضيفا الى نصه نصا ينسجم معه من أي مصدر ،دون أن يخل بالنص الأصلي ،أو أن يقحم عليه ما هو خارج عنه[11].



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-تعدد الأصوات: طرح باختين هذا المصطلح وقد خص به الرواية، وذكر أن الرواية متعددة الاصوات هي الرواية التي لا تتضمن أي محاولة للتنسيق أو التوحيد بين وجهات النظر المتباينة التي تعبر عنها الشخصيات المختلفة، ولا يمتزج وعي هذه الشخصيات المختلفة بوعي المؤلف، أو تذعن الشخصيات لوجهة نظره، بل تظل محتفظة بتماسكها واستقلالها، فهي ليست موضوعات لكلمة المؤلف فحسب، بل ذوات فاعلة لها كلمتها الدالة في الوقت نفسه.

وبإمكان الرواية التفاعلية أن تجسد تطبيقا عمليا لهذه الفكرة، فالروائي بإمكانه ألا يرسم الشخصيات، وأن يكتفي بطرح فكرة الرواية فقط، أمام عدد لا يحصى من المتلقين، ويطلب منهم أن يضع كل واحد منهم شخصية من عنده، تستطيع المساهمة في دفع دفة أحداث هذه الفكرة الروائية.

**الأدب التفاعلي والمنهج السيميائي:**

تناول المنهج السيميائي النص التفاعلي باعتباره نسيجا مركبا من علامات اصطلاحية متعالقة يرى بورس أنَ العلامات بنوعياتها وكيفياتها المتغايرة (كلمة، قضية، خطاب، برهان، إشارة، قطعة موسيقية ...إلخ) لا تخرج عن حد العلامة البسيطة أو المركبة، وأيا كانت صورة التعالق التي تنسجها العلامات البسيطة فيما بينها بالغة التعقيد فإن النسق الذي تبلوره لا يعدو إلا أن يكون علامة12.

دراسة النص التفاعلي سيميائيا تختلف تمام الاختلاف عن دراسة النص الورقي نظرا لكون هذا الأخير ما هو إلا وسيط ورقي يحمل مجموعة من الصور وكتابة لا غير، بينما النص التفاعلي مزيج مختلف من: صوت، صورة، ألوان، موسيقى...وغيرها من علامات تؤدي وظيفة تواصلية ودلالية تهدف لإيصال المعنى إلى المتلقي ليبدع نصا مبنيا على نص سابق.

ومن المهم القول بأن ليس هناك قطيعة مفاجئة بين الأعمال الأدبية الرقمية ونظيرتها غيرالرقمية، بل هناك استمرارية جرت نقلا عن المسألة الأدبية بشكل تدريجي وبطيء. والحال أنه لا توجد قضية أدبية واحدة لا تعرف حدا غير قابل للتجاوز. علاوة على هذا فمثل هذا التصور لا يأخذ بعين الاعتبار خصوصية الوسيط لأنه يعتبر ضمنيا أن الوسيط المعلوماتي ينحصر في تغيير للسند. كما أنه من الأفضل اعتبار الأدب الرقمي ينجز في آن واحد استمرارية مع الحركات السابقة ونقلا يوظف خصوصيات الوسيط[13].

**الهوامش:**

1إياد ابراهيم فليح الباوي، حافظ محمد عباس الشمري، الأدب التفاعلي الرقمي: الولادة وتغير الوسيط، ط1، 2011، ص19.

2 سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2006، ص 9-10.

3فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص49.

4د. إبراهيم أحمد ملحم، الأدب والتقنية مدخل إلى الأدب التفاعلي، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2013، ص 19.

5فاطمة البريكي،مرجع سابق، ص 50-53.

6سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مرجع سابق، ص 259.

7فاطمة البريكي، مرجع سابق، ص 63.

8فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص99.

9عبير سلامة، الشعر التفاعلي. طرق للعرض طرق للوجود، عاشقة الصحراء مجلة نسائية عربية شاملة، تم الاطلاع في 18:44 2019/02/05 https://sha3erjordan.net/lovedesert/news.php?action=view&id=970

10فاطمة البريكي، المرجع السابق، ص:149-152، بتصرف.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص180، بتصرف.
12عبد القادر فهيم الشيباني، معالم السيميائيات العامة: أسسها و مفاهيمها، (د ت ن)، الجزائر ،ط1 ،2008، ص81.
13فيليب بوطز، ما الأدب الرقمي؟، تر محمد أسليم،مجلة علامات، ع35، ص110.

**قائمة المراجع:**

**المراجع:**

1- إبراهيم أحمد ملحم، الأدب والتقنية مدخل إلى الأدب التفاعلي، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2013.
2- إياد ابراهيم فليح الباوي، حافظ محمد عباس الشمري، الأدب التفاعلي الرقمي –الولادة وتغير الوسيط، ط1، 2011.
3- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2006.
4- عبد القادر فهيم الشيباني، معالم السيميائيات العامة: أسسهاومفاهيمها، (د ت ن)،الجزائر، ط1 ،2008
5- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

**المجلات:**

1- فيليب بوطز، ما الأدب الرقمي؟، تر محمد أسليم، مجلة علامات، ع35.

**المو اقع الالكترونية:**

1- عبير سلامة، الشعر التفاعلي. طرق للعرض طرق للوجود، عاشقة الصحراء مجلة نسائية عربية شاملة، https://sha3erjordan.net/lovedesert/news.php?action=view&id=970



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com